[6]

يَا أَهْلَ الثُّغُوْرِ؛ لَا يُشْغِلَنَّكُمُ القَاعِدُوْن

(1 جمادى الأولى 1433هـ)

الحمدُ لله ربّ العالمين ولي المؤمنين، والصلاة والسلام على إمام المهاجرين الأولين وقائد المجاهدين الصادقين سيّدنا ونبينا محمّد بن عبد الله الأمين والمبيِّن لفضل المهاجرين المجاهدين بقول رب العالمين:

{الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [التوبة: 20]، وعلى آله الطيبين وأصحابه الأكرمين الذين أقاموا دينه من بعده بالسيف والكتاب واقتفوا أثره عاملين بسنته، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم إنا نسألك إيمانًا يبلّغنا حبك، وعملاً يبلغنا رضاك، وشهادةً تبلغنا بها أعلى منازل الشهداء عندك يا رب العالمين.

ثمّ أمّا بعدُ؛

فيقول المولى تبارك وتعالى عن المجاهدين والقاعدين في توضيح حال كل منهما: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء 95].

قال الشّيخُ عبدُ الرّحمن السّعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (أي: لا يستوي من جاهد من المؤمنين بنفسه وماله ومن لم يخرج للجهاد ولم يقاتل أعداء الله، ففيه الحث على الخروج للجهاد، والترغيب في ذلك، والترهيب من التكاسل والقعود عنه من غير عذر.

وأما أهل الضرر كالمريض والأعمى والأعرج والذي لا يجد ما يتجهز به، فإنهم ليسوا بمنزلة القاعدين من غير عذر، فمن كان من أولي الضرر راضيًا بقعوده لا ينوي الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع، ولا يُحَدِّث نفسه بذلك، فإنه بمنزلة القاعد لغير عذر، ومن كان عازمًا على الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع يتمنى ذلك ويُحَدِّث به نفسه، فإنه بمنزلة من خرج للجهاد، لأن النية الجازمة إذا اقترن بها مقدورها من القول أو الفعل ينزل صاحبها منزلة الفاعل.

ثم صرَّح تعالى بتفضيل المجاهدين على القاعدين بالدرجة، أي: الرفعة، وهذا تفضيل على وجه الإجمال، ثم صرح بذلك على وجه التفصيل، ووعدهم بالمغفرة الصادرة من ربهم، والرحمة

التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع كل شر) انتهى كلامه رحمه الله.

فالمجاهدون في سبيل الله هم أهل الإرهاب لأعداء الدين، وهم من يدافع عن حمى الإسلام وأهله، وهم الذين لا ينخذلون بخذلان الناس لهم، ولا يتضررون بمخالفة القليل لهم ولا الكثير، وطريق الجهاد هو طريق يميز الله فيه بين الخبيث والطيّب، فالطيبون يثبتهم الله بفضله في المواقف والشدائد ولا يضرهم المرجفون والمخذّلون، وأما الخبيثون فيسقطون وينخذلون نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى، قال تعالى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [آل عمران 179].

وأما القاعدون بلا عذر؛ لا هم نووا الجهاد ولا هم عدّوا له، ويحسبون أنهم يحسنون، فهؤلاء يتقلبون بين صفات المنافقين وهم لا يشعرون، ولو تدبروا فعل الله بهم وكيف حفظ الله صف المجاهدين منهم ومن شرهم لعرفوا حقيقة أمرهم، يقول الله تعالى عنهم: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِين} [التوبة 46].

قال السّعدي رحمه الله: (يقول تعالى مبيّنًا أنّ المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأنّ أعذارهم التي اعتذروا بها باطلة، فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه، وسعى في أسباب الخروج، ثم منعه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر.

وأما هؤلاء المنافقون فـ {لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأعَدُّوا لَهُ عُدَّةً} أي: لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ} معكم في الخروج للغزو {فَثَبَّطَهُمْ} قدرًا وقضاءً، وإن كان قد أمرهم وحثّهم على الخروج، وجعلهم مقتدرين عليه، ولكن بحكمته ما أراد إعانتهم، بل خذلهم وثبّطهم {وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} من النساء والمعذورين، ثم ذكر الحكمة في ذلك فقال: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا} أي: نقصًا {وَلأوْضَعُوا خِلالَكُمْ} أي: ولسعوا في الفتنة والشر بينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين، {يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} أي: هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم {وَفِيكُمْ} أناس ضعفاء العقول {سَمَّاعُونَ لَهُمْ} أي: مستجيبون لدعوتهم يغترون بهم، فإذا كانوا هم حريصين على خذلانكم، وإلقاء الشر بينكم، وتثبيطكم عن أعدائكم، وفيكم من يقبل منهم ويستنصحهم. فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين، والنقص الكثير منهم، فللّه

أتم الحكمة حيث ثبَّطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم، ولطفًا من أن يداخلهم ما لا ينفعهم، بل يضرهم {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} فيعلم عباده كيف يحذرونهم، ويبين لهم من المفاسد الناشئة من مخالطتهم) انتهى كلامه رحمه الله.

وقد بين الله صفاتهم في كتابه، وأنزل فيهم الفاضحة سورة براءة حتى يتبين المؤمنون منهم ويتفطنون لهم إذا دخلوا معهم في الصف، وهم على المجاهدين شرٌ دائم، وكما فعل رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول في أُحد يوم خذل ثلث الجيش الإسلامي بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمات، وما زال شر أشباهه يدندنون بكلماتهم على المجاهدين إلى اليوم، والمصيبة أنهم يحسبون أنهم على حق، وأن المجاهدين في دفعهم للعدو الصائل مخطئون في جهادهم واجتهادهم، وينكرون عليهم طرق جهادهم وهم لا يفقهون معنى الجهاد! وربنا سبحانه يبين لنا أنهم لا يفقهون، وسبب عدم فقههم هو عقوبة من الله لهم لتركهم الجهاد الذي ينكرون على القائمين به، قال سبحانه وتعالى: {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} [التوبة:87].

يقول السّعدي رحمه الله: ({رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} أي: كيف رضوا لأنفسهم أن يكونوا مع النساء المتخلفات عن الجهاد، هل معهم فقه أو عقل دلهم على ذلك؟ أم طبع الله على قلوبهم فلا تعي الخير، ولا يكون فيها إرادة لفعل ما فيه الخير والفلاح؟ فهم لا يفقهون مصالحهم، فلو فقهوا حقيقة الفقه، لم يرضوا لأنفسهم بهذه الحال التي تحطهم عن منازل الرجال!) اهـ.

وتعظم المصيبة إذا كان القاعد عن الجهاد يعيش في أرض العدو الصائل وينكر على المجاهدين الذين يدفعون ذلك العدو الذي صال على أرض الإسلام وفعل فيها وفي أهلها ما يعجز القلم عن كتابته ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن فقه الحرب وأراضي الجهاد تختلف عن فقه السلم، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الفقه عندما رأى أبا دجانة رضي الله عنه يتبختر بين الصفين يوم أُحد بقوله في الحديث الذي رواه البيهقي: "إِنّهَا لَمِشْيَةٌ يَبْغُضُهَا اللّهُ إلّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ".

والمشاهد للحرب من خارج ميدان المعركة عن طريق الإعلام العميل وما يصوّره للناس يجعل من أهل الخير أناس يتأذون مما يشاهدون، فتقصر عقولهم عن الحقيقة، فيتكلمون بما لا يعلمون، ولذلك يقول تعالى: {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ}، والأصل شرعًا وعقلاً هو التثبت من الأمر كما حصل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أرسل الوليد ابن عتبة إلى الحارث بن ضرار ليأخذ الزكاة، فعندما قرب من ديار بني المصطلق فرق وخاف منهم ثم رجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يخبره أنهم رفضوا إعطاء الزكاة، فأرسل رسول الله بعثًا ليقاتلوهم، وعندما

خرج البعث من المدينة إذا بالحارث بن ضرار قد جاء إلى المدينة ليدفع الزكاة، والقصة بطولها عند الإمام أحمد في المسند وغيره، فأنزل الله في هذه الحادثة قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات 6].

وهذا ما يريده العدو عندما يفتح أرضه للمسلمين ويسهّل عليهم دخولهم لها وخاصة أهل الشأن منهم والذين تضيق بهم السبل من الابتلاء من قبل حكوماتهم ويعجزون عن الذهاب إلى أراضي الجهاد ويسهل عليهم غيرها، وما جاء في قصة الثلاثة الذين خُلّفوا خير شاهد على مكر الأعداء وكيف يحاولون استقطاب أهل الرأي من بلدانهم إلى أراضيهم، يقول كعب بن مالك رضي الله عنه في قصته عندما تخلف عن غزوة تبوك والكتاب الذي جاءه من ملك غسّان: (فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتابًا من ملك غسان وكنت كاتبًا، فإذا فيه: أما بعد؛ فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة؛ فالحق بنا نواسيك، فقلتُ حين قرأتُها: وهذا أيضًا من البلاء، فيممتُ به التنور فسجرته بها) [رواه البخاري]، وفي هذه القصة من الفوائد لمن فقه.

ولذلك يجب أن يعرف كل منا مكانه وواجبه، فقيادة المجاهدين إما في مقدمة الجيش تقاتل وإما عن مقربة منه، كما كان صلى الله عليه وسلم يفعل، ففي بدر كان في العريش قريبًا من الحدث، وفي أحد كان داخل الصف، وإذا أرسل سريّة أوصاها وبيّن لها المطلوب منها، وجعل لهم الاجتهاد فيما يطرأ عليهم كما حدث في معركة مؤتة، فلم ينكر عليهم، وكان الوحي ينزل من عند الله بما يحدث في المعركة، والرسول صلى عليه وسلم يكلم الناس ماذا يجري في المعركة وهو الصادق الأمين، وعندما رجع الجيش أنكر عليه المجتمع بسبب رجوعه وكان النساء والأطفال يحثُون عليهم التراب ويقولون لهم يا فرّارون، وكان صلى الله عليه وسلم يدافع عنهم ويبين حكمهم أنهم كرارون.

ثم من هم من غير القادة ففي مقدمة الجيش ومؤخرته وحراسته، وكل له عمل يكلف به من الأمير، وقد بين ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الساقة كان في الساقة وإن كان في الحراسة كان في الحراسة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع، طوبى له ثم طوبى له" [رواه البخاري].

ثم أُناس لم يتمكنوا من الجهاد لعذر، وهؤلاء لهم ما للمجاهدين من أجر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال: "إن

بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم، قالوا يا رسول الله: وهم بالمدينة، قال: وهم بالمدينة حبسهم العذر" [رواه البخاري].

وحالهم عندما خرج المجاهدون وهم باقون وصفه لنا ربنا سبحانه لنفقه معنى الصدق عند فوات عبادة الجهاد فقال جلّ وعلا: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} [التوبة 92]، يقول سيّد رحمه الله معلقًا على هذا الحدث: (ولا جناح كذلك على القادرين على الحرب، ولكنهم لا يجدون الرواحل التي تحملهم إلى أرض المعركة، فإذا حرموا المشاركة فيها لهذا السبب، ألمت نفوسهم حتى لتفيض أعينهم دموعًا، لأنهم لا يجدون ما ينفقون وإنها لصورة مؤثرة للرغبة الصحيحة في الجهاد، والألم الصادق للحرمان من نعمة أدائه) انتهى كلامه رحمه الله.

وفي الختام أوصي إخواني المجاهدين في الثغور ثبتهم الله وأعانهم على أعدائهم:

أولاً: عليكم بتقوى الله في السّر والعلن فهو سبب النصر بإذن الله.

ثانيًا: اعلموا أن الله ما منع عنكم نفير كثير من الناس إلا رحمة بكم وحفاظًا على وحدة صفكم من التفرق والشقاق.

ثالثًا: إن ما تسمعون من بعض القاعدين عن الجهاد من الأذيّة من إرجاف وتخذيل واتهامات؛ إنما هو خير لكم، فقد يكون فيكم من يعبد الله على حرف وبقول البشر ويتعلق بالأشخاص، فخروج هؤلاء منكم هو خير لكم.

رابعًا: إن من القاعدين من يحلف بالله لكم أنهم لمنكم ويتكلم باسمكم ويظهر على أشلائكم ودمائكم وهم ليسوا منكم، فيريد الله أن يفضحهم ويسقطهم من قلوب العباد، فتراهم مذبذبين بين الحق والباطل والعلم والجهل وهذا فيه خير كبير للمجاهدين.

خامسًا: إن علماء ومشايخ الثغور هم أهل القول والفصل في أحكام الجهاد، ولهم حق الاجتهاد في مسائله، وأما من ابتلي بالقعود نسأل الله العافية فصعب أن يتكلم في ما لا يحسن وما لا يعلم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "مِن حُسن إسلام المرء؛ تركه ما لا يعنيه" [رواه الترمذي وغيره]، وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا: "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت" [رواه البخاري]، والأصل لمن أراد أن يتأكد لما يعرضه الكافرون وعملاؤهم من الأخبار فليرجع إلى المجاهدين وإعلامهم الصادق الذي ينطلق من منطلق ديني، ثم من أراد النصح فله طرقه ووسائله بعيدًا عن التشويه والإرجاف والتثبيط، بل قد

يدخل في المناصرة والتحريض على المجاهدين شـعر أم لم يشـعر نسأل الله السلامة.

سادسًا: يا إخواننا المجاهـدين في ميـادين القتـال أو في ثغـور الإعلام؛ إن المرحلة تحتاج منا أن لا ننشغل بالمخـالفين القاعـدين عن الجهاد ونصـرته، ونحن في منعطف خطـير يجب علينا أن نهتم بمرحلة قيـام دولة الإسـلام ونعد لهـا، فـأمم الكفر أوشـكت على السقوط وهي شبه مجتمعه، وسوف تعيد تـرتيب صـفوفها وهيكلة تجمعها من جديد لتكر على الإسلام وأهله في الشام والجزيرة بعد ما اقترب سقوط طواغيتها، وبدأت الأمة تعود إلى الكرامة والعـزة والسـلاح، نسـأل الله أن يعجل بإسـقاط الطـواغيت وبقيـام دولة الإسلام لتنطلق منها جيـوش الإسـلام، ومظـاهر قيامها بـإذن الله قد حان واقترب، فكل منا على ثغره ولا يشغلنا شاغل عن ما نحن مقبلون عليه، ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، ونعوذ بمعافاتك من عقوبتك، ونعوذ بك منك لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

اللهم ربنا أعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسر الهدى إلينا، وانصرنا على من بغى علينا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا يا مولانا.

اللهم اكفنا كل عدو ظاهر وكل عدو تعلمه ولا نعلمه بما شئت وكيف ما شئت وأشغله اللهم في نفسه ولا تشغلنا به عن طاعتك.

اللهم إن أعداء دينك قد تكالبوا على أوليائك في جزيرة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ليطفئوا نورك ويصدوا عن سبيلك ويحاربوا شريعتك وأنت القوي المتين، اللهم احم جندك وأيدهم بنصرك وأمدهم بجنود السماء والأرض واحكم اللهم خططهم وسدد اللهم رميهم يا حي يا قيوم.

اللهم من كان في نفيره خير لهم اللهم يسر له طريقه، ومن كان في نفيره شر عليهم اللهم واصرفه عنهم بقدرتك إنك أنت القدير.

اللهم احفظ الحكيم اليماني الأمير أبا بصير الوحيشي وجنده، واجمع كلمتهم على الحق، وسدد اللهم أقوالهم، وثبت حججهم، وأنجح أعمالهم، واطرح اللهم لهم القبول بين العباد.

والحمد لله رب العالمين.